Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



بعض من الكنايات الجيدة :

ليست بفاحشة فى بيت جارتها ولا تعاب ، ولا ترمى بها الريب
إن جاورتهن لم يأخذن شيمتها وإن وشيْن بها لم تدر ما الغضب
صمت الخلاخيل خود ليس يعجبها نسج الأحاديث بين الحى ، والصخب
وحبها لى ، سواد الليل مرتعدا كأنها النار تخبو ، ثم تلتهب

فهذا تصوير لشاعر من أساتذة التصوير فى شعرنا القديم ، فى عبارات قليلة جمع الحسن وحرارة العاطفة وبراءة الأعماق فى صور متتابعة ، قليلة الألفاظ متعددة الإشعاعات ، قوية التماسك حتى ليلغى تماسكها أية مماحكات ذهنية ، كالتساؤل حول نفى الفحش عنها فى بيت جارتها ، وهل يعنى ذلك نفيه أيضا فى بيتها ؟ ومع إمكان هذا الالتواء بالمراد فقد أضاف الشاعر « ولا تعاب » ، والجار أكثر تسقطا للأخبار من غيره ، غير أنه لم يهمل صورتها فى بيتها ، وهى قائمة على الحب الملتهب كالنار ، فليت شعرى ، هل جاء الربط بين أول الأبيات وآخرها عن وعى عميق بطبيعة الإنسان — المرأة — العفة ؟ ! ونقف عند كنايتين : « لم تدر ما الغضب » كناية عن الحلم ، « ليس يعجبها نسج الأحاديث » كناية عن البعد عن الفضول والثرثرة . ولكن التحليل لبنية هاتين العبارتين — من الناحية المنطقية — يعطى دلالة مختلفة ، « فليس يعجبها نسج الأحاديث » تقوم على الرفض الواعى بما ترفض ، إنه لا يعجبها ، وهو مالا تدل عليه : « لم تدر ما الغضب » ، والمعنى هنا يختلف كثيرا عن القول بأنها لا تحب الغضب ، أولاتستسلم للغضب ، لقد أراد الشاعر أن يبالغ فى وصفها بالحلم والأناة ، فلو أخذنا المعنى بحرفيته لصار وصفا بالعجز والبلادة ، وهو لم يرد ذلك قطعا ، بدليل هذه الكناية الثانية ، وإذن فإن الكناية الأولى تضاف إلى كناية المتنبى السابقة التى لا يصح أن تراد فى معناها المباشر حتى وإن لم تكن هناك قرينة مانعة من إرادة المعنى الظاهر . . إن الموقف والسياق أقوى قرائن التعبير الفنى ، وليس المعنى الشعرى كامنا فى قرينة أو علاقة ، إنه كالأريج ، يلتقط من كل اتجاه ، والحس الباطنى هو قطب الاتجاهات كلها .

إلى هنا استقرت أنماط الصور البيانية التى قام على رعايتها علم البيان : التشبيه والاستعارة والكناية . ولكننا فى الحقيقة سنحاول أن نشير إلى أنماط أخرى قد تكون أقل مساسا بجوهر البناء الشعرى ، غير أن طاقتها التصويرية تستحق قدرا من العناية . وهذه الأنماط الأخرى تمتد